جامعة ميسان / كلية التربية

قسم اللغة العربية

اللسانيات التاريخيّة، النشأة والمفهوم

بحثٌ قدّمته الطالبة

سارة خدر قاسم

إلى قسم اللغة العربية/ كلية التربية/ جامعة ميسان

وهو جزء من متطلبات نيل شهادة البكالوريوس في اللغة العربية

بإشراف

أ. م . د. عبد الزهرة عودة جبر

٢٠٢٤ م

١٩٤٥ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ (٢٢)

سورة الروم

الآية (٢٢)

الشكر والعرفان

الحمد الله الذي من علي بعونه وتوفيقه ان اتم هذا العمل، الذي لم يكن ليرى النور لولا توفيقه سبحانه وتعالى.

اتقدم بجزيل الشكر والعرفان، والاعتراف بالفضل والاحسان الى استاذي الفاضل الدكتور (عبد الزهرة عودة جبر) كل عبارات الشكر والتقدير لن توفيك حقك، لقد بذلت جهوداً مضاعفة في العمل والتوجيه العلمي وكان ذلك من جميل اخلاقك، نسال الله ان يجزيك عنا كل الخير.

كما اتقدم بوافر الشكر وعظيم الامتنان الى كل من اسهم بغرس هذهِ الشجرة ورواها من منهل علمة العذب ابتداء من المؤسسة العلمية التي راعت هذهِ الجهود المباركة ، واعني بها (كلية التربية- جامعة ميسان) .

واتوجه بالشكر لكل الاصدقاء ولعائلتي لانهم لم يتركوني يوماً وقدموا لي الدعم والامل لهم كل الشكر والامتنان.

فجزاء الجميع عني خير الجزاء.

الإهداء

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي ما نجحنا وما علونا ولا تفوقنا إلا برضاه الحمد لله الذي ما اجتزنا درباً ولا تخطينا جهداً إلا بفضله وإليه ينسب الفضل والكمال والإكمال. (وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)

بعد مسيرة دراسية دامت سنوات حملت في طياتها الكثير من الصعوبات والمشقة والتعب ها انا اليوم اقف على عتبة تخرجي اقطف ثمار تعبي وارفع قبعتي بكل فخر،

الحمد لله حباً وشكراً وامتناناً، ما كنت لأفعل هذا لو لا فضل الله فالحمد لله على البدء وعلى الختام...

اهدي ثمرة نجاحي وتخرجي والجهد المبذول في السنين الماضية الى بقية الله الاعظم صاحب العصر والزمان الأمام الهادي المهدي (عجل الله تعالى لهُ الفرج)

الى من احمل اسمهُ بكل فخر، الى من زين اسمي بأجمل الالقاب، الى من دعمني بلا حدود واعطاني بلا مقابل، الى من حصد الاشواك عن دربي ليمهد لي طريق العلم، وعلمني أن الدنيا كفاح وسلاحها العلم والمعرفة، داعمي الأول في مسيرتي وسندي وقوتي وملاذي بعد الله فخري واعتزازي (أبي الغالي) .

الى من جعل الله الجنة تحت اقدامها، واحتضنني قلبها قبل يدها وسهلت لي الشدائد بدعائها، الى القلب الحنون والشمعة التي كانت لي في الليالي المظلمات، سر قوتي ونجاحي جنتي (امي الحبيبة)

الى من ساندني بكل حب عند ضعفي وازاح عن الطريق المتاعب ممهد لي الطريق زارعاً الثقة والأصرار بداخلي (اخوتي + اخواتي)

وأخيراً من قال أنا لها "نالها" وأنا لها أن أبت رغماً عنها أتيت بها، ما كنت لأفعل لولا توفيق من الله، ها هو اليوم العظيم هنا اليوم الذي اجريت سنوات دراستي الشاقة حالمة بها حتى توالت بمن وكرمه لفرحة التمام، فالحمدلله الذي ما تيقنت بهِ خيراً وأملاً ألا واغرقني سروراً وفرحاً ينسيني مشقتي.

محتويات البحث

الموضوع	الصفحة
الآية	أ
الشكر والعرفان	ب
الاهداء	ت
المحتويات	ث
المقدمة	١
التمهيد: أهمّية اللسانيات التاريخية في البحث اللساني	٢-٣
المبحث الأول: دراسة اللغة ما قبل اللسانيات التاريخية	٤
النحو الكلاسيكي	٤
الفيلولوجيا	٥
المنهج المقارن	٦- ٩
المبحث الثاني: اللسانيات التاريخية	١٠
المفهوم	١٠
النشأة	١١-١٣
الإنجازات	١٤-١٥
الخاتمة	١٦
مراجع البحث	١٧

المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على محمّد وآلة الطيبين الطاهرين

وبعدُ

مرّت دراسة اللغة بمراحل متعدّد، ومحطّات مهمة، حتى وصلت إلى مرحلة العلم، منذ مطلع القرن العشرين. وصارت فرعًا مهمًا من فروع العلوم الإنسانية، يُطلق عليه اللسانيات. ولكنّ هذه المكانة التي وصلت إليها اللسانيات لم تكن وليدة لحظة زمنية مُحدّدة، بل كانت معرفة الإنسان باللغة ودراستها وبحثها، معرفةً تراكميّة.

ويأتي هذا البحث الموسوم بـــ(اللسانيات التاريخية المفهوم والنشأة)؛ ليسلّط الضوء على إحدى المراحل المهمّة في تاريخ الدرس اللساني، وهي مرحلة اللسانيات التاريخية، بل تُمثّل هذه المرحلة الإرهاصات الأولى التي بنى عليها دي سوسير مبادئه في تأسيس اللسانيات. فسعت الباحثة إلى تقديم مفهوم واضح للسانيات التاريخية، ونشأتها.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يتكوّن من مبحثين، مسبوقين بتمهيد، وتتلوهما خاتمة البحث.

أمّا التمهيد

فتحدّثت فيه عن مرحلة اللسانيات التاريخية وأهمّيتها في البحث اللساني، وأمّا المبحث الأوّل فتضمّن المراحل التي سبقت اللسانيات التاريخية، وأمّا المبحث الثاني فتحدّثت فيه عن مفهوم اللسانيات التاريخية ونشأتها.

وأمّا الكتب التي استعنت بها على إنجاز هذا البحث، فاعتمدت على ما تناثر فيها من حديث عن اللسانيات التاريخية، إذ لم أجد كتابًا مستقلًّا مخصّصًا للسانيات التاريخية. ومن أهمّ الكتب التي رجعت إليها (اللسانيات النشأة والتطور، لأحمد مومن)، و (مباحث في اللسانيات لأحمد حساني)، و(موجز تاريخ علم اللغة، لروبنز)، وغيرها.

ويتوجّب علي أنْ أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان إلى أستاذي المشرف (أ.م.د. عبد الزهرة عودة جبر)، لِكلّ ما قدّمه لي في إنجاز هذا البحث، بدءًا من اختيار العنوان، و رفدي بالمصادر، وانتهاءً بتوجيهاته وملحوظاته.

والشكر موصول إلى أساتذتي في قسم اللغة العربية الذين نذروا أعمارهم في تقديم العلم لطلبتهم، فلهم خير جزاء المحسنين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمي

التمهيد: أهمّية اللسانيات التاريخية في البحث اللساني

عندما يعالج المرء هذا الموضوع بوصفه جزءا من تاريخ علم اللغة فإنه سوف يجد نفسه بالفعل في نطاق التاريخ المعاصر. فمبادئ القواعديين الجدد ومضامينهم عبارة عن، أو يجب أن تكون جزءا من أي مقرر تعليمي في علم اللغة العام، وتقديمها يجب أن يوجد في الكتب الدراسية الجادة عن الموضوع[١] ، ان المؤلفين في كل حقبة من الزمن يكتبون التاريخ من خلال وجهة نظرهم الخاصة . فالفترة المسيحية حتى القرن الثامن عشر قد تأثرت فيما يتعلق بالأبحاث اللغوية ، بنظرية لاهوتية طاغية مفادها ان اللغة العبرانية هي ام اللغات وحينئذ بدا للجميع ان المسألة اللغوية الجديرة بالاهتمام هي مسألة الاصول . حتى ان القرن التاسع عشر برمته – بما فيه مايه–Meillet– قد تأثر بهذه النزعة التاريخية المطلقة فكانت القضية العالمية السامية الوحيدة – فيما يخص اللغات هي قضية تاريخها وتطورها وتسلسلها . اما في ايامنا فانه و قد يبدو لنا من المسلم به – هي ان نباشر بدرس آلة مثل اللغة عن طريق عملها الوظيفي قبل ان نبحث في اسباب وطرق تحول هذه الآلة عبر الزمن ، وكان جسفرسونJesferson قد لاحظ اننا " من ناحية علم اللغة الصرف إذا بدأنا بالسنسكريتية (اي بالنحو المقارن ثم علم اللغة التاريخي) نكون قد بدأنا بداية خاطئة" [٢] . فمن الشائع في تاريخ العلم أن تحقق بعض الفروع نجاحا باهرا خلال حقبة من الزمن يجعلها نماذج تحتذى لبقية العلوم. وهكذا فإن من شبه المحتم أن يلجأ العلماء الذين يحاولون إجراء بحوث علمية في ظواهر جديدة إلى محاكاة الأساليب والنظريات التي تقدمها العلوم ((الأنموذجية)) [٣] .

ويطلق على مصطلح اللسانيات تسميات كثيرة كعلم اللغة وفقة اللغة فأما فقه اللغة فهو: " العلم الذي يعني بدراسة قضايا اللغة من حيث أصواتها ومفردتها وتراكيبها وفي خصائصها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية وما يطرأ عليها من تغيرات وينشأ من الهجات "[٤]. أما علم اللغة فيعنى:" بدراسة النصوص اللغوية القديمة واللغات البائدة ويهتم بالتراث والتاريخ والنتاج الادبي

---

[١] ينظر: موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، روبنز: ٢٦٣ .

[٢] تاريخ علم اللغة حتى القرن العشرين : ٧–٨ .

[٣] ينظر: مدارس اللسانيات التسابق والتطور: ٣ .

[٤] فقه اللغة مفهومه موضوعه قضاياه: ١٩ .

واللغوي"[١].ومن أهم الخصائص التي تتميز بها اللسانيات هو " اهتمامها باللغة المنطوقة قبل المكتوبه"[٢] .إن اللسانيات علم يمتلك كل الخصوصيات المعرفية التي تميزه عن سواه من العلوم الإنسانية الأخرى من حيث الأسس الفلسفية و المنهج و المفاهيم و الاصطلاحات ، بيد أن ما تفتضيه الضرورة العلمية هو أنه لابد لكل علم من موضوع بعد مادته التي تخضع لإجراءاته التطبيقية ، وموضوع اللسانيات هو اللسان ومن البديهي كما هو شائع في التصور العلمي للفكر الإنساني أن يحدد العلم موضوعه تحديدا دقيقا في إطاره التاريخي والمعرفي قبل أن يحدد نفسه وما كان ذلك لأن موضوع العلم سابق للعلم بشأنه في الوجود ، إذ لولا وجود الظاهرة ما كان العلم بها [٣] .يرى بعض المؤرخين أن ظهور المنهج التاريخي ابتداء من ١٩٧٥ جوهره انتقال البحث اللغوي في أوروبا من مرحلة فلسفية- يُعد المفكر الالماني هومبولت رائدها بدون منازع- إلى مرحلة جديدة لم يعد ينظر فيها إلى سياق الحياة الروحية الكلية للمجتمع والثقافة، بل أصبح ينظر إليها مثل عضو طبيعي، وبذلك دخل محل بدهية مسبقة قديمة خاصة بتاريخ الفـ مسبقة حديثة خاصة بالعلوم الطبيعية [٤] .يُقال إن علم اللسانيات قد بدأ عند دوسوسيير، والصّحيح أنّ الحديث عن اللغة ونشأتها وعوامل وجودها قد بدأ منذ القدم، لكنّه بدأ في العصور القديمة على شكل تأمّلات فلسفية، ثمّ تطوّر إلى أن أصبح نظريّات ودراسات قامت على أسس علمية ومنهجية في أواخر القرن التّاسع عشر. وقد مرّت الدّراسات حول اللغة عبر عصور ثلاث، وهذه العصور هي القديمة والوسطى والحديثة [٥].فاللسانيات التاريخية كان لها الحظ الوفير في ظهور مرحلة ما بعد دي سوسير ،حيث نلمس هذا في آراء اللغويين في العصر الحديث فالعلماء من كل جيل لا يبدؤون من فراغ [٦].

---

[١] فقه اللغة مفهومه موضوعه قضاياه: ٢١ .

[٢] مبادئ اللسانيات، أحمد محمد قدور: ١٦ .

[٣] مباحث في اللسانيات، أحمد حساني: ٩ .

[٤]تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين، جورج مونين: ٢٨ .

[٥] اللسانيات النشأة والتطور، أحمد مومن : ١٩-٢٦ .

[٦] معجم مصطلحات اللسانيات التاريخية والمقارنة: ١٩ .

المبحث الأوّل : دراسة اللغة ما قبل اللسانيات التاريخية

مرّت دراسة اللغة، عند الغربيين، بثلاث مراحل متعاقبة، قبل أن تظهر اللسانيات التاريخية إلى الوجود. هذه المراحل هي: النحو الكلاسيكي، والفيلولوجيا، والاتجاه المقارن[١].

النحو الكلاسيكي:

ترجع أصول النحو الكلاسيكي إلى اليونانيّين، واستمرّ على أيدي الفرنسيين، من نحاة مدرسة بور رويال. وقد كان هؤلاء النحاة متأثّرين بالمذهب العقلي، وكان من أهدافهم إثبات أنّ بنية اللغة من نتاج العقل، وشرعوا يبحثون عمّا هو مشترك بين جميع اللغات، ومن ثَمّ وضع القواعد العالمية[٢].

كان النحو الكلاسيكي مبنيًا على التحليل المنطقي، إي إنّه مبني على منطق أرسطو. وقد درس اللاتينيون لغتهم في ضوء التصورات التي نظر بها اليونانيون إلى اللغة اليونانية، فوضعوا نحوًا للغة اللاتينية على غرار نحو اللغة اليونانية. وقد ورث نحويو القرون الوسطى التحليلَ المنطقي للعبارات اللغوية من اليونانيين. وذهب نحويو مدرسة بور رويال إلى أنّ النواة الأساسية للغة هي نظام من القضايا المنطقية الأوّلية، من نمط (موضوع/ محمول)، هذا النمط من الحكم المنطقي يسمح لفكر المتكلّم أن يتجسّد بوساطة اللغة. بمعنى أنّ هناك تطابقًا بين القضايا النحوية والقضايا المنطقية، فاللغة مرآة للفكر[٣].

ومّما يؤخذ على النحو الكلاسيكي أنّه كان " قائمًا على المنطق، وخاليًا من كل نظرة علمية غايتها الوحيدة دراسة اللغة في حدّ ذاتها. وذلك أنّ الغرض الذي كان يرمي إليه أصحابه إنّما هو وضع القواعد للتمييز بين الصحيح وغير الصحيح من صيغ الكلام. فهو إذن مبحث تقعيديّ بعيد كلّ البعد عن مجرّد الملاحظة الصرف، ووجهة النظر فيه ضيّقة بالضرورة "[٤].

---

[١] ينظر: مباحث في اللسانيات، أحمد حساني: ٣٠ .

[٢] ينظر: اللسانيات النشأة والتطور، أحمد مومن: ٤٩ .

[٣] ينظر: أعلام الفكر اللغوي، روي هاريس و تولبت جي تيلر: ١/ ١٥٢ .

[٤] دروس في الألسنية العامة، سوسير ، ترجمة صالح القرمادي وآخرون: ١٧ .

الفيلولوجيا:

هي الدراسة التي تتّخذ من اللغة وسيلةً؛ لمعرفة المضامين الفكرية والثقافية والحضارية، وموضوع هذا الحقل هو النصوص القديمة المنجزة في الحقب التاريخية التي مرت بها الحضارة الأوروبية القديمة، والآثار التاريخية القديمة (تفسير الرموز الأثرية) ، وتحقيق المخطوطات باعتماد آليات منهجية[١]. وقد اقترنت نشأتها الجنينية بالنصوص المكتوبة باللغتين اليونانية واللاتينية. وليست اللغة موضوعها الوحيد " إذ أنّ همّ أصحابها إنّما هو ضبط النصوص وتأويلها والتعليق عليها ولذلك فإنّ هذا الطور من أطوار الدراسة سيفضي بهم إلى أن يعتنوا كذلك بتاريخ الأدب والأخلاق والمؤسسات وغيرها"[٢]. ومن هذا المنطلق فان الفيلولوجيا من حيث هي منوال يتعامل مع الظاهرة اللغوية تظل بعيدة عن طبيعة الدراسة العلمية الموضوعية للسان من حيث هو ظاهرة اجتماعية يجب ان تدرس في ذاتها ومن اجل ذاتها[٣].

---

[١] ينظر: مباحث في اللسانيات، أحمد حساني: ٣٠ .

[٢] المصدر نفسه: ١٧-١٨ .

[٣] ينظر: مباحث في اللسانيات، أحمد حساني: ٣١ .

المنهج المقارن

هو المنهج الذي يُقارن أو يوازن بين لغتين أو أكثر تنتميان الى أسرة لغوية واحدة. وينصبّ اهتمام الدراسات المقارنة على البحث عن الخصائص الصوتية و التركيبية و الدلالية في لغة معينة، ومقابلتها بخصائص لغات أخرى؛ من أجل التوصل الى أوجه التشابه أو الاختلاف، ومن ثمّ إرجاعها الى أصل واحد[١].

ويعود السبب لنزعة المقارنة بين اللغات، في مرحلتها الأولى، إلى شعور بعض الجماعات البشرية أو العرقية بنبل أصلها وشرف عرقها، فتعتقد هذه الجماعة أو تلك–بدافع عرقي أو ديني – أنَّ لغتها أصل اللغات جميعًا. وفي هذا الاتجاه ذهب اليهود – بدافع ديني – إلى أنّ اللغة العبرية أمُّ اللغات البشرية جميعًا، كما اعتقد الكلتيون – بدافع عرقيّ – أنّ لغتهم الكلتية أمّ اللغات الأوروبية[٢].

ولعلّ أهمّ حدث ساعد الباحثين على المقارنة بين اللغات هو اكتشاف اللغة السنسكريتية (لغة الهنود القدماء)، إذ مثّل هذا الاكتشاف منعطفًا مهمّا في تطوّر الدراسات التاريخية والمقارنة على مستوى النظرية والمنهج. فبعد أنْ قدّم القاضي الانكليزي (وليام جونز) في العام (١٧٨٦م) تقريره الذي أشار فيه الى " أنّ اللغة السنسكريتية، مهما كان قدمها، فلها بنية رائعة، فهي أحسن من الإغريقية وأغنى من اللاتينية، وأشدّ تهذيبًا وصقلًا من كليهما. ولكن تربطها بالأخريين قرابة وثيقة للغاية سواء من حيث الأصول اللفظية أو الأشكال النحوية. ولا يمكن لهذه القرابة أبدًا أن تكون من قبيل المصادفة، فالصلة متينة جدًّا إلى درجة أنّه لا يمكن لأيّ فيلولوجي أن يفحص هذه اللغات الثلاث دون الاعتقاد بأنّها انبثقت من أصل واحد قد لا يكون له أيّ وجود"[٣] . ومن هنا

---

[١] ينظر: مبادئ اللسانيات، أحمد محمد قدّور: ٢٦ .

[٢] ينظر: مباحث في اللسانيات، أحمد حساني: ١٣٣ .

[٣] ينظر: اللسانيات النشأة والتطور، أحمد مومن: ٦٦ .

بدأت حركة البحث في المقارنة بين اللغات تتسارع وتتسع دائرتها[١]. ويمكن تقسيم تلك الأعمال على اتجاهين رئيسين[٢]:

الاتجاه الأول، قسّمَ اللغاتِ على أساس صلة القرابة اللغوية، إذ تشترك فئات كلّ قسم في أنّ المتكلّمين بلغات الفئة الواحدة يرجعون الى أصول شعبية واحدة، أو متقاربة، وتؤلّف بينهم روابط تاريخيةٍ وجغرافية واجتماعية. وأشهر نظرية صنّفت اللغات ضمن هذا الاتجاه نظريةُ (ماكس مولر)، إذ قُسّمت اللغات فيها على ثلاث فصائل هي: الفصيلة الهندو أوروبية، والفصيلة السامية الحامية، والفصيلة الطورانية.

الاتجاه الآخر، نظر الى تصنيف اللغات من ناحية التطوّر والارتقاء، فقسّم اللغات الانسانية على ثلاث فصائل تتفاضل في ما بينها بدرجة رقيّها، ويمثّل كلّ صنفٍ منها مرحلة من تطوّر اللغات ونُضجها. وأشهر نظرية في هذا الاتجاه نظريةُ (شليجل) التي قُسّمت اللغات في ضوئها على أساس البنية الصرفية، الى ثلاث فصائل هي: اللغات التصريفية، و اللغات اللاصقة، واللغات العازلة[٣].

وقد اطلع بعض اللغويين المقارنين على المناهج المتبعة في العلوم الطبيعية ولا سيّما علم الاحياء والحفريات . واتسع نطاق الاطلاع على المناهج المتبعة في العلوم الطبيعية التي تميزت في القرن التاسع عشر، حتى بلغت درجة التأثير المباشر لهذه العلوم في الابحاث اللغوية ، وقد سعى الكثير من اللغويين الى اقامة نوع من التماثل بين اللغات والكائنات الحية . وبدأ اللغويون في مرحلة المقارنة يعرفوا اللغة بانها كائن عضوي مثل باقي الكائنات الحية؛ لأنها تتكون من عناصر لها وظائف محددة، اضافة إلى كونها مثل باقي الكائنات في الحياة تنشا وتترعرع ثم تكبر وتموت. وقد برز هذا التأثر بعد ظهور كتاب تشارلز دارون (أصل الأنواع)، وكان اللغوي شلايشر من أكثر المتحمّسين لنظرية دارون، حتّى عدّ دراسة اللغة فرعًا من علم الأحياء، ونظر إلى اللغة على أنّها خاضعة في بنيتها وتطوّرها إلى قوانين النشوء والارتقاء [٤].

---

[١] ينظر: مبادئ اللسانيات، أحمد محمد قدّور: ١٧ .

[٢] ينظر: اللسانيات النشأة والتطور، أحمد مومن: ٦٦ –٨٠ .

[٣] ينظر: علم اللغة، علي عبد الواحد وافي: ١١٥–١١٧

[٤] ينظر: في اللسانيات العامة، د. مصطفى غلفان: ١٥٥.

ومن بين المقارنين الذين ذاع صيتهم في هذه الفترة لغويو المدرسة الألمانية و،من بينهم (وليام همبولد) الذي أكّد على الارتباط بين خصائص اللّغة و الخصائص العقلية للمجتمع اللّغوي[١]. و(فرانز بوب) الذي عُرف بمقارنته لنظام التصريف في اللّغة السنسكريتية، و أنظمة اللّغات اللاتينية و الجرمانية و الفارسية، وقد أسّس فرانز بوب ما يُعرف بالقواعد المقارنة، إذ أدرك هذا العالم أنّ مقارنة اللغات التي تنحدر من أصل واحد يمكن أن تصبح موضوعًا لعلم مستقل بذاته[٢].

ومن المقارنين أيضًا الدنماركي(راسموس راسك) الذي بحث في العلاقة السلالية بين اللّغات الجرمانية، و اليونانية، و اللاتينية، و الإيسلندية. و(جاكوب جريم) الذي ظهر معه مصطلح (الهندو جرمانية)، وقد وضع قواعد تفسّر التغيّرات الصوتية للغات الهندو جرمانية تاريخيًا، وقد سُمّيت تلك القواعد قانون جريم[٣].

وكان من نتائج المنهج المقارن أنّ الدرس اللغوي انتقل من دراسة الأساليب السليمة في اللغة إلى التساؤل عن حقيقة الوضع اللغوي، بمعنى أنّ المرحلة المقارنة شكّلت بداية التخلّي عن النظرة المعيارية في التعامل مع قضايا اللغة[٤].

ومن المآخذ على هذا المنهج[٥] :

١ـ غياب تصوّر نظري محدّد لمعالجة التطوّر اللغوي.
٢ـ كانت النتائج التي توصّل إليها أصحاب هذا المنهج افتراضيّةً، فالقول بإرجاع اللغات المتشابهة إلى لغة واحدة يظلّ أمرًا افتراضيًّا لا يمكن التثبّت منه.

---

[١] ينظر: مباحث في اللسانيات، أحمد حساني: ١٧ .

[٢] ينظر: مبادئ اللسانيات، أحمد محمد قدّور: ١٨ .

[٣] ينظر: مباحث في اللسانيات، أحمد حساني: ١٤-١٧ .

[٤] ينظر: في اللسانيات العامة، د. مصطفى غلفان: ١٥٠ .

[٥] ينظر: نفسه: ١٦٠ -١٦٢ .

وقد ذهب دي سوسير إلى أنّ أصحاب هذا الاتّجاه لم يوفّقوا إلى تأسيس علم اللغة، ولم يكن من مشاغلهم أن يعتنوا باستخلاص طبيعة موضوع دراستهم. " والحال أنّ أيّ علم من العلوم عاجز أن يتّخذ لنفسه منهجًا إن هو لم يقم بهذا العمل البسيط الأول" [1]. وكان أهمّ الأخطاء التي ارتكبها أصحاب هذا الاتّجاه " أنّهم لم يتساءلوا أثناء قيامهم بأبحاثهم ... عن مغزى ما كانوا يقومون به من مقارنات بين اللغات وعن مدلول ما كانوا يكتشفونه من علاقات"[2] .

---

[1] دروس في الألسنية العامة، سوسير ، ترجمة صالح القرمادي وآخرون: ٢٠ .

[2] نفسه: ٢١ .

المبحث الثاني : اللسانيات التاريخية

المفهوم:

اللسانيات التاريخية اتجاه يُعنى بتتبّع التغيرات والتطورات التي تعتري لغةً ما عبر مراحل زمنية مختلفة، وتبحث في مظاهر هذا التغير، وأسبابه، ونتائجه. فهي تدرس اللغة من خلال تطوراتها عبر المراحل المختلفة، منذ النشأة الى الوقت الحاضر لمعرفة تاريخها منذ العصور الاولى، وأسباب تغيراتها الصوتية والمعجمية والنحوية والدلالية[١].

وتُعرّف ايضاً بأنها دراسة تاريخ اللغة وظواهرها ورصد حياتها من عصر الى اخر، وبيان مسار ما يطرأ عليها من تطور[٢].

فالدارس في هذا المنهج يراقب تطوّر الظاهرة، ويرسم خطّها البياني من حيث الاستعمال، قلةً وكثرةً، حياةً وموتًا، ثمّ يحاول أن يبيّن القوانين التي تحكم مسار الظاهرة والعوامل اللفظية والحضارية التي قد أثّرت فيها أو سوف تؤثّر فيها. وعلى هذا فالباحث التاريخي يعدّ نفسه مسؤولًا عن الإجابة عن تاريخ الظاهرة اللغوية: ما أصلها؟ وماذا أصبحت؟ ومتى؟ و إلى أين تتّجه؟

ولا يقتصر البحث التاريخي على دراسة التطورات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، بل يتناول أيضا مستويات الاستخدام اللغوي في البيئات المختلفة وتغير ذلك عبر الزمن (أي الفصحى والفصيحة واللهجات)، ويتناول الانتشار اللغوي، ودخول اللغة الى مناطق جديدة، ويبحث أيضا الانحسار اللغوي في مناطق بعينها[٣].

---

[١] ينظر: اللسانيات النشأة والتطور، أحمد مومن: ٦٤ .

[٢] ينظر: مبادئ اللسانيات، أحمد محمد قدور: ٢٨ .

[٣] ينظر: مبادئ اللسانيات، أحمد محمد قدور: ٢٧ .

نشأة اللسانيات التاريخية:

في الربع الاخير من القرن التاسع عشر الميلادي، برزت مجموعة من الباحثين الالمان لقّبهم بعض المهتمين باسم النحاة الشبان، وصاروا يعرفون ايضاً باسم النحاة المحدثين أو الجدد او مدرسة ليبزيغ. ومن اقطاب هذهِ الحركة بروغمان، واستوف، ولسكين، ودلبروك. فبدأت المرحلة اللغوية الجديدة في مدينة ليبزغ سنة ١٨٧٥مع النحاة الشبان الذين التقوا حول استاذهم كورتيس ١٨٢٠-١٨٨٢، وكان اكبرهم لا يتجاوز الثلاثين من عمره[١].

بدأ هؤلاء الشبّان بنقد التصوّرات اللغوية التي أرساها القرن التاسع عشر، بما فيها تقديس اللغة السنسكريتية بوصفها اللغة الأم، والتأكيد على صرامة القوانين الصوتية، ورفض فكرة الشذوذ عن القوانين؛ لأنّ القانون من المنظور العلمي الدقيق ينبغي أن يكون مطّردًا. فقد ذهب النحويون الشبان إلى وجود قوانين حتميّة تحكم التحوّل في الأصوات مثلها مثل علم الطبيعة [٢]. ودعا أصحاب هذا المنهج إلى استنباط القوانين الكلية والجزئية من المشاهدات الفعلية، والملاحظة المباشرة للوقائع اللغوية المعروضة على البحث[٣] .

وسميت هذهِ المرحلة بالتاريخية لأنها اعتمدت المنهج التاريخي الذي يجعل قوامة التحليل التاريخي، والتتبع الدقيق لتطور عناصر اللغة ومكوناتها الصوتية والصرفية والاشتقاقية[٤].

واطلق دي يوسير على هذا الضرب من الدراسة اسم اللسانيات التطورية (Linguistigue Chroniaue) مستلهماً هذا المصطلح من اللغة اللاتينية: اذ السابقة dia تعني عبر والجذر cronas يعني الزمن. وهكذا يكون المعنى الكامل دراسة اللغة عبر الزمن[٥] .

---

[١] ينظر: في اللسانيات العامة، مصطفى غلفان: ١٦٩.

[٢] ينظر: النحاة الجدد وميلاد اللسانيات التاريخية: ٢٤٥-٢٤٧ . (بحث)

[٣] ينظر: في اللسانيات العامة، مصطفى غلفان: ١٧٠ .

[٤] ينظر: في اللسانيات العامة، مصطفى غلفان: ١٧٠ .

[٥] ينظر: اللسانيات النشأة والتطور، أحمد مومن: ٦٣ .

وعلى الرغم من أنّ القواعديّين الجُدد انتقدوا أصحاب المنهج المقارن، لكنّهم لم يكونوا بأقلّ منه في كفاحهم من أجل تأسيس اللسانيات التاريخيّة في إطار العلوم الطبيعية. وإذا كان شلايشر قد اتّجه إلى علم الأحياء فإنّهم نظروا إلى العلوم الفيزيقية الدقيقة ذات الطبيعة غير الحية، مثل الجيولوجيا والطبيعيات، بوصفها نماذج لهم، فالدراسة التاريخية للغة تشبه إلى حدّ بعيد علم الجيولوجيا، الذي يدرس مختلف طبقات الأرض المتكوّنة عبر التاريخ. وشغلوا أنفسهم بالمادة وبالقوانين التي تحكم المادة، لتغطية مجالات التغير الصوتي، وقرّروا أنّ التغيرات الصوتية تحدث بوصفها عملية ميكانيكية خاضعة لقوانين لا تسمح بالاستثناء أو الشذوذ في لهجة معيّنة، كما هو الحال في قوانين علم الفيزياء [١]. فالمبدأ الأساسي الذي اعتمدوا عليه في صياغة القوانين الصوتية هو انطباقها على مجمل التغيرات الصوتية، فلكي يكون علم اللغة " علمًا دقيقًا بمفهوم العلوم الوضعية-الطبيعية فإنّه يجب أنْ تُقدّم فيه قوانين لا شذوذ فيها" [٢]. فانطلقوا " ممّا كانت تتضمّنه الخبرة الحقيقية بالموضوع، مُميّزين لها عن الافتراضات غير الضرورية والمضلّلة" [٣].

سعى القواعديون الجدد إلى تأسيس لسانيات تاريخية، ورأوا أنّ الطريقة العلمية الوحيدة لدراسة اللغة هي المنهج التاريخي[٤]، و ركّزوا بحوثهم في صوتيّات اللغات الحية، بدلًا من البحث في اللغات الميّتة، فأكّدوا على عدم ملاءمة حروف اللغات الميّتة في إعطاء معلومات عن نُطقها الفعلي، ولم يعد ممكنًا الخلط بين الصوت المنطوق والحرف المكتوب، وأصبحت اللهجات ميدانًا حيويًّا للبحث العلمي فيما يمكن أنْ تلقيه على طبيعة التغيّر اللغوي وأسبابه[٥]. ويشير زعيم القواعديين الجدد كارل بروغمان إلى ضرورة صياغة نظريّة عامّة لنموّ الأشكال اللغوية، لا من خلال رموز لغويّة افتراضيّة، ولا من خلال أقدم الأشكال التي انحدرت من السنسكريتية واليونانية، بل على أساس تطوّرات

---

[١] ينظر: موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، روبنز : ٢٦٣- ٢٦٦ .

[٢] تاريخ علم اللغة الحديث، جرهارد هلبش: ٢٩ .

[٣] موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، روبنز : ٢٦٩ .

[٤] ينظر: تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين، جورج مونين: ٢١٧ .

[٥] ينظر: موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، روبنز : ٢٦٨ .

لغوية يمكن تتبّع مقدّماتها اعتماداً على وثائق تمتدّ على فترة أطول من الزمن وتكون بداياتها معروفة لدينا معرفة مباشرة[١].

وقد اعتمد اللسانيون التاريخيون "المنهج المعروف بإعاده التركيب الداخلي للغات، وهو منهج لا يسعى الى اعادة بناء الطراز الأولي كما كان يفعل المقارنون للوقوف على درجة التماثل بين الصيغ المقارن بينها، بل يعتمد على الصيغ المنتمية إلى اللغة الواحدة؛ قصد تحديد درجة قدم هذهِ العناصر واستخراج أقدمها" [٢].

ويمكن حصر الأهداف العامة للمنهج التاريخي في هدفين أساسيين [٣]:

١-معالجة التحولات الصوتية بدلاً من الاكتفاء بإقامة المقارنة بين التقابلات الصوتية.

٢-وضع اجراءات التحليل التاريخي على اولويتين هما:

أ- يجب ان لا يقتصر التحليل التاريخي على وصف او ملاحظة التغيرات الحاصلة بين حالتين او اكثر للغتين متقاربتين وانما يجب تقديم تفسير وضعي للأسباب التي قادت الى التغيرات.

ب- يجب ان يترك التحليلُ العضواني والطبيعي المجالَ المنهجية الملاحظة الاستقرائية والاستنباطية التي تعد الغاية التفسيرية للعلوم الطبيعية مثل الفيزياء.

عملهم هذا يُعدّ بحثًا واقعيًا تجريبيّا، وردًّا على الافتراضات التي اقترحها القواعديون الكلاسيكيون، وهي افتراضات لا أساس علميًّا لها، من وجهة نظرهم. بيْدَ أنّ القواعديين الجدد لم يستطيعوا في النهاية من إحكام قوانينهم وانطباقها على اللغات الحية؛ نتيجة للانقسامات اللهجية المتعدّدة وما يتبعها من تغيّرات لا حدود لها. وبحلول نهاية القرن التاسع عشر، أضحت المعلومات المتعلّقة باللسانيات التاريخية مجرّد تجميع للتبدّلات الصوتية، من دون تقديم سبب واضح لتلك التبدّلات [٤].

---

[١] ينظر: تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين، جورج مونين: ٢١٦ .

[٢] ينظر: في اللسانيات العامة، مصطفى غلفان: ١٧١ .

[٣] ينظر: في اللسانيات العامة، مصطفى غلفان: ١٧٣-١٧٤ .

[٤] ينظر: مدارس اللسانيات التسابق و التطور: ٢٣ .

إنجازات اللسانيات التاريخية:

من اهم انجازات اللسانيات التاريخية خلال نهاية القرن التاسع عشر ما يأتي[١]:

١- وجّه النحويون الجدد الاهتمام باللغات المحلية واللهجات الحية، وقد عُدّ ذلك بداية المنهج الوصفي الذي أرسى دعائمه دي سوسير.
٢- إعطاء الأهمية للعوامل المفسرة للتطور، لاسيما العامل النفسي، وذلك بالكشف عن مظاهر العلاقة المباشرة بين تطور الثقافة وتطور العالم الداخلي للإنسان.
٣- اعتبار الجانب الفيلولوجي في التطور بالنظر الى ميل المتكلم الطبيعي لبذل اقل مجهود بطريقه لا شعورية.
٤- اعتماد مبدأ القياس اساساً للتطور .
٥- التأكيد على أهمية العمليات الكلامية، والحقيقة الوحيدة التي يمكن الإمساك بها هي لغة الفرد.

نقد اللسانيات التاريخية

على الرغم مما قدمه النحاة الجدد من انجازات الا انه اخذ عليهم انهم لم يأتوا بنظرية جديدة، وأنّ جُلّ آرائهم هي في الواقع عبارة عن صياغة نقدية لاراء اسلافهم المقارنين. واخذ عليهم ايضاً اهتمامهم بالتفاصيل والجزئيات **المتعلقة باللغات خلال جميع مراحل تطورها. مما جعل تحليلهم اللغوي ذرّيّاً حوّلوا من خلاله ظواهر اللغة الى ذرّات لا يمكن الوقوف على الصورة الكاملة للبنية اللغوية[٢].**

وإذا كان دي سوسير وجّه نقده إلى النحو الكلاسيكي والفيلولوجيا والنحو المقارن لكنّه لم يوجّه نقده إلى أصحاب اللسانيات التاريخية؛ لأنّهم، في نظره، أسهموا في تقريب اللسانيات من موضوعها الحقيقي، إذ كانوا أشدّ التصاقًا بالواقع اللغوي، وقد توافرت لديهم وثائق تمتدّ على سلسلة

---

[١] ينظر: في اللسانيات العامة، مصطفى غلفان: ١٧٤-١٧٥ .
[٢] ينظر: في اللسانيات العامة، مصطفى غلفان: ١٧٨ .

طويلة من القرون، وقد ساعد هذان العاملان على التقليل من عملية الحدس والتخمين، ووفّرا إطارًا ثابتًا وقويًّا للبحث العلمي، فقاموا بتتبّع اللغات في أدقّ تفاصيلها، ممّا ساعدهم على ربط الحقائق ربطًا طبيعيًّا. ولكنّه يرى أنّ النحويين الجُدد، على الرغم من الخدمات التي قدّموها، لم يُلقوا الضوء على المسألة كلّها، فما زالت المسائل الجوهرية للسانيات تنتظر الحل[١].

إنّ أعمال النحاة الجدد تميزت باعتماد مبالغ فيه على التاريخ، الذي جعلوه المحور الأساسيّ لكل تحليلاتهم اللغوية، فسقطوا في تاريخانيّة مفرطة، غدت معها نظرتهم إلى اللغة نظرة آليّة، فتمّ تجزيء اللغة إى وحدات وقضايا بسيطة ومنفصلة بعضها عن البعض الآخر، وتمّت دراستها بمعزل عن المحيط بكلّ ملابساته[٢].

---

[١] ينظر: علم اللغة العام، دي سوسير، ترجمة يؤئيل يوسف عزيز: ٢٣ .

[٢] ينظر: في اللسانيات العامة، مصطفى غلفان: ١٧٤ .

الخاتمة

أسهمت اللسانيات التاريخية في تهيئة الجو العام للسانيات أكثر علمية ودقة. فقد انتقل الدرس اللغوي من تفكير تأملي الى فكر علمي، وبفضلها بدأت تظهر ملامح اللسانيات بوصفها العلم الذي يدرس اللغة الإنسانية، على يد رائدها دي سوسير.

قامت اللسانيات التاريخية على نقد الاتجاه المقارن، فعلى الرغم من أنّ المرحلة المقارنة شكّلت بداية التخلّي عن النظرة المعيارية في التعامل مع قضايا اللغة، لكنّ النتائج التي توصّل إليها أصحاب هذا المنهج افتراضيّةً، فالقول بإرجاع اللغات المتشابهة إلى لغة واحدة يظلّ أمرًا افتراضيًّا لا يمكن التثبّت منه. لذلك جاءت اللسانيات التاريخية لتتعامل مع الواقع اللغوي بعيدًا عن التأمّل والافتراضات غير الواقعية.

سعى أصحاب هذا المنهج إلى استنباط القوانين الكلية والجزئية من المشاهدات الفعلية، والملاحظة المباشرة للوقائع اللغوية. وقد وجّهوا البحث نحو اللغات واللهجات المحكيّة، فضلًا عن الوثائق المتوافرة لديهم من اللغات القديمة، مما ساعد على ربط الواقع بالتاريخ ربطًا موضوعيًّا.

وعلى الرغم من الانتقادات التي وُجّهت إلى أصحاب اللسانيات التاريخية، لكنّ هذا الاتّجاه مثّل المرتكز الأساسي الذي انطلق منه دي سوسير في تأسيس الدرس اللساني على أسس علمية.

مراجع البحث

١. أعلام الفكر اللغوي التقليد الغربي من سقراط إلى سوسير، روي هاريس و تولبت جي تيلر، تعريب الدكتور أحمد شاكر الكلابي، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، ٢٠٠٤.

٢. تاريخ علم اللغة الحديث / تأليف جرهاد هلبش . ترجمة د. سعيد حسن بحيري/ كلية الالسن – جامعه عين شمس – القاهرة / الطبعة الاولى سنه النشر ٢٠٠٣

٣. تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين . تأليف جورج مونيسن . ترجمة د. بدر الدين القاسم / كلية الآداب / جامعه دمشق ١٣٩٢ ه / ١٩٧٢م

٤. علم اللغة / تأليف ، د . علي عبدالواحد وافي – نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع / الطبعة التاسعة / ابريل ٢٠٠٤ م

٥. علم اللغة العام ، فردينان دي سوسير ، ترجمة . د .يوئيل يوسف عزيز ١٩٨٥

٦. فقه اللغة مفهومة موضوعاته قضاياه / تأليف محمد بن ابراهيم الحمد / دار النشر دار بن خزيمة / تاريخ النشر ٩يونيو ٢٠٠٨

٧. في اللسانيات العامة . تاريخها . طبيعتها . موضوعها . مفاهيمها ، تأليف د. مصطفى غلفان / دار الكتاب الجديد المتحدة ٢٠١٠

٨.اللسانيات النشأة والتطور / تأليف احمد مومن ، دائرة الانجليزية / معهد اللغات الاجنبية – جامعه قسنطينة / الطبعة الثانية

٩.مباحث في اللسانيات / تأليف أ . د . احمد حساني / الطبعة الاولى ٢٠٠٧م

١٠. مبادئ اللسانيات / تأليف د . احمد محمد قدور / مطبعه دار الفكر / افاق معرفه متجدده ٢٠٠٨م

١١.محاضرات في الالسنية العامة ، تأليف / فردينان دي سوسير / ترجمة يوسف غازي / مجيد النصر / دار نعمان للثقافة ص ب ٥٦٧ جونية / لبنان

١٢. مدارس اللسانيات التسابق والتطور ، تأليف جفري سامسون ، ترجمة د. محمد زيارة كبة / قسم اللغة الانكليزية / كلية الآداب / جامعه الملك سعود

١٣.معجم مصطلحات اللسانيات التاريخية والمقارنة / تأليف ريمه لحمير ، فاطمة الزهراء تواني / جامعه محمد الصديق بن يحيى / الجزائر / ٢٠١٩ – ٢٠٢٠

١٤. موجز تاريخ علم اللغة (في الغرب) تأليف ،ر . هـ . روبنز ترجمة د . احمد عوض نوفمبر ١٩٩٧ م

١٥.النحاة الجدد وميلاد اللسانيات التاريخية ، مجلة دورية محكمة تصدر عن مجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب / الكويت ٢٠٠٥